﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [القصص: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التقاطٌ ثم حوارٌ فتَبَنٍّ مصحوبٌ بالغفلة عن حقيقة المُتَبَنَّى

بعد أن وضَّحت الآية السابقة التقاط آل فرعون للرضيع بعد أن ألقته أمّه في اليمّ، تأتي هذه الآية لتبيِّن ما صَرَفَ به اللّهُ تعالى فرعونَ وأتباعه عن قتله، ووجّههم إلى القيام برعايته وتربيته، إذ تحكي الآية مقالة امرأة فرعون التي كانت سببًا في ترقيق قلبه، وإقناعه بإبقاء الرضيع على قيد الحياة، واتّخاذه ولدًا نافعًا، دون أن يشعر هو وجنوده بأنّهم يفعلون ذلك مع من سيكون زوال ملكهم على يديه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ﴾: (قرر) "قَرَّ في مكانه يَقِرُّ قَرارًا، إذا ثبت ثبوتًا... يقتضي السّكون... كقوله: ﴿هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ [الفرقان: 74]، وأصله من القُرِّ، أي: البرد، فَقَرَّتْ عينُه، قيل: معناه بَرَدَتْ فصَحَّت، وقيل: لأنّ للسُّرور دمعةً باردةً قارَّةً، وللحُزْن دمعةً حارّة"[1]، "وكل (قُرَّة عين...) هو من برودة العين عند السرور... أو من استقرارها وعدم تطلّعها إلى غير ما ترى لرضاها به"[2]. والتعبير كناية عن سرورهما به وعدم تطلعهما لغيره.

2) ﴿يَنفَعَنَآ﴾: (نفع) " كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلافِ الضَّرِّ"[3] و"النَّفْعُ: ما يُسْتَعانُ به في الوُصولِ إلى الخَيْراتِ، وما يُتَوَصَّلُ به إلى الخَيْرِ فهو خَيْرٌ، فالنَّفْعُ خَيْرٌ، وضِدُّهُ الضُّرُّ. قال: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا

(1) الراغب، مفردات القرآن: (قرّ).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (قرر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفع).

نَفْعًا﴾ [الفرقان: 3]"[1]. و"المعنى المحوريّ لهذا الجذر: فائدة تُنال من الشيء أو جدوى تعود به، ومنه جاء النَفْعُ بمعنى ضد الضَرّ في القرآن، مثل: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25]"[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قدرُ الله تعالى ينفذ بكلمة

تُبَيِّنُ الآية الكريمة أنّ آل فرعون بعد أن التقطوا الصندوق من اليمّ جاؤوا به إلى فرعون وزوجه، فلمّا عالجوه وفتحوه وجدوا فيه طفلًا، ألقى الله تعالى محبّته في قلوبهم، لا سيما امرأة فرعون، فلمّا أمر زوجها بقتله - بعد قول الغواة: هو الصبي الذي نحذر منه - قالت له امرأته: لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولدًا، فوهبه لها دون أن يدري أو يعلم أنّ هلاكه وزوال ملكه سيكون على يديه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في أول الآية:

بيان تفاصيل الحوار الذي دار بعد الالتقاط

الواو في جملة: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ لعطف ما بعدها على قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾، جيء بها مواصلةً لسرد نبأ موسى وفرعون، واستكمالًا لبيان ما حدث بعد أن ألقت أمّ موسى رضيعها في اليمّ؛ امتثالًا لأمر الله تعالى، وثقة في وعده برده إليها، وجعله من المرسلين.

دلالة التعبير بفعل القول:

الكلام الناصح لا بد أن يكون خاليًا من الاستفزاز والتحدّي

التعبير بفعل القول في جملة: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ يدلُّ على أنها عبّرت عمّا في نفسها، وما تراه بشأن الغلام ببيان واضح صريح، وبأسلوب مقنع ليس فيه شيء من استفزاز المخاطب أو تحدّيه، وأنها نجحت بكلماتها في استمالته للتراجع عن قراره بقتل

(1) الراغب، مفردات القرآن: (نفع).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نفع).

الرضيع بعد أن زيّن ذلك له الغواة من أتباعه، وخوّفوه من إبقائه على قيد الحياة.

براعة التعبير عن المسند إليه:

عبّر النظم عن المسند إليه بـ: ﴿ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾ دون اسمها الصريح لدلالات وأسرار، منها:

الله قادر على تسخير الطغاة لتحقيق مراده

أوّلا: أن يُعْرَف أن القائلة هي امرأة فرعون، فتتجلّى قدرة الله تعالى على تسخير خلقه – بما فيهم فرعون وآله – لتحقيق مراده في الإنعام على بني إسرائيل.

ثانيا: تسجيل أنّ صاحبة هذا الموقف هي امرأة، لا حول لها ولا قوة، ولكنّها تتمتّع بعقيدة إيمانيّة راسخة، دفعتها لتغيير ما تراه منكرًا بأسلوب هادئ مقنع.

ثالثا: الدعوة إلى تدبّر البيان الذي استطاعت به أن تدفع الضر عن الرضيع، وأن تنفذ إلى قلب فرعون دون كذب أو مخادعة.

دلالة حذف المبتدأ من جملة: ﴿قُرَّتُ﴾:

من البديهيّ أن يكون الأبناء قرّة عيون أبويهما

عبارة: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾ هي صَدْرُ ما قالته امرأة فرعون، وكلمة: ﴿قُرَّتُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: (هو قُرّة)، ولم تذكر المبتدأ لأنّ الرضيع بين أيديهما، والحديث عنه يدور بين الحاضرين، ولتَصْرِفَ زوجَها عن قتل الرضيع بتعجيل ذكر الثّمرة من إبقائه وتربيته وهي أن يكون نافعًا لهما تقرّ به أعينهما، وهي بمثابة التمهيد لما بعدها من النهي عن قتله.

بلاغة الكناية في تركيب: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ﴾:

العين لا تستقرّ إلا على الجميل الذي يبهج النفس ويريح القلب

والتعبير بكلمة ﴿قُرَّتُ﴾ مضافة إلى: ﴿عَيۡنٖ﴾ يجعل الكلام كناية عن الفرح والسرور اللذين سيحصلان لهما، بسبب رعايتهما الرضيع، لا سيما بعد رؤيتهما أثره الطيب في شفاء ابنتهما من البرص الذي كان يُشَوِّهُ جمالها، ويجعلهما في حالة حزن عليها،

وذلك لأنّ العين لا تستقرّ إلّا على الجميل الذي يُفرح النفس ويُبهجها، ويُدخل السعادة والسرور على قلب صاحبها، فقرار العين طريق إلى سعادة النفس، وانشراح الصدر، وراحة القلب.

لطيفة الفرق بين: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ وغيره:

الفرق بين قوله تعالى ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ وبين أن يقال: (قرة نفس) أو (قرة قلب) من وجهين: **أحدهما:** أنّ الاستقرار لا يكون إلا لمتحرّك، والقلب والنفس لا يتحركان وإنما يتقلبان، **والآخر:** أنّ استقرار العين سبب في راحة النفس واطمئنان القلب، وليس العكس.

دلالة تقييد الخبر ﴿قُرَّتُ﴾ بالضميرين:

نفعُ الأولاد يعود على الأبوين بالدرجة الأولى

تقييد البيان الخبر: ﴿قُرَّتُ﴾ بضميرها وضمير فرعون المجرورَيْنِ بحرف الاختصاص ﴿لِّي وَلَكَ﴾ يعني: أنّ الخير والسعادة التي ستحصل بسبب الرضيع ستعود عليهما بالدرجة الأولى، وسيكون نصيبهما منها أكبر من نصيب أيِّ أحد آخر، وفيه إلماح إلى أنّهما يحتاجان إلى تلك السعادة؛ لخلوِّ حياتهما منها ومن أسبابها.

لطيفة تقديم ضميرها على ضمير فرعون:

التعطُّف يفضي إلى تلبية الحاجات وتحقيق الرغبات

وابتدأت بنفسها فقالت: ﴿لِّي﴾ قبل ذكر فرعون؛ للإشارة إلى أنّ حاجتها إلى الرضيع ربّما تكون أكثر من حاجته إليه، بجانب ما فيه من الدلال والتعطُّف الذي يثير الرجال إلى تلبية حاجات النساء، فقوّة المرأة تكون في إظهار ضعفها واحتياجها إلى الرجل، ولو بدأتْ بالضمير العائد إليه (لَكَ) لأمر بقتله؛ تذرُّعًا بأنّه ليس في حاجة إليه[1].

السر في فصل جملة: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾:

من البدهيِّ ألّا يُقتَل من هو سبب جمال الحياة وسعادتها

جاءت جملة: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ مفصولةً عمّا قبلها؛ لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً فيما يسمَّى كمالَ الانقطاع، الذي يُسوِّغ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 20.

فصلَهما لفظيًّا، لكنّه لا يمنع اتصالهما معنويًّا، ويمكن أن تكون جملة: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ مُفَرّعة عن قولها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾، ففُصِلَتْ عنها كما يُفصَل السَّببُ عن المسبَّب، إذ من البدهيِّ ألّا يُقتل من سيكون سببًا في جمال الحياة وسعادتها، ومن سيَقْوى ارتباطُهما به، ويزدادُ فرحُهما بوجوده.

دلالة التعبير بفعل القتل صراحة:

تعبيرها بفعل القتل الصَّريح في جملة: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ فيه دلالة على أنّ فرعون كان قد عزم على قتل الرضيع، بعد أن حذّره من استبقائه الغواةُ من حاشيته، وفيه دلالة على كثرة وقوع القتل وتكرّره إذ هو معهود صنيع فرعون مع الولدان.

نكتة إسناد فعل القتل إلى ضمير الجمع:

تفخيم المخاطب يـــؤدي إلى استنزال طائره، ويساعد المتكلم في تحقيق مراده

إسناد فعل القتل إلى ضمير الجماعة في قوله ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ من باب تعظيم فرعون وتفخيمه؛ استنزالًا لطائره، وتخفيفًا من إصراره، وليساعدها في تحقيق ما تريد، ويجوز أن يراد بالضمير: فرعون وأركان دولته، "وهذا أحسن لأنّ فيه تمهيدًا لإجابة سُؤْلها، حيث أسندت معظم القتل لأهل الدولة، وجعلت لفرعون منه حظَّ الواحد من الجماعة، فكأنّها تُعَرِّضُ بأن ذلك ينبغي أن لا يكون عن رأيه، فتهوِّن عليه عُدولَه في هذا الطفل عمّا تقرَّر من قتل الأطفال"[1].

سبب فصل جملة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾:

وجملة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ هي السّبب الذي من أجله طلبت امرأة فرعون استبقاء الرّضيع على قيد الحياة، وجاءت مفصولة عما قبلها لشبه كمال الاتّصال الذي تُفصل فيه جملة الجواب عن سابقتها، التي تثير سؤالًا عن السّبب الذي يدعو إلى التوقف عن قتل الرضيع، فهي تعليل لجملة النهي.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 21.

فائدة التعبير بجملة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾:

الحديث عن نفع الأبناء يزيد محبّتَهم ويدفع إلى رعايتهم

وهذه الجملة بتركيبها كانت سببًا في إزالة محاذير فرعون من استبقاء الرضيع حيًّا؛ لأنّها أقنعَتْه أن تبنّيهما له، والقيام على تربيته سيجعلانه يدور في فَلَك فرعون، ويَنْحو منحاه، لأنه سَيَشِبُّ تحت سمعه وبصره، ولن يكون منه إلّا ما يُرْضي فرعون ويُسعده، شأنه في ذلك شأن الأولاد الحريصين على ردِّ الجميل لآبائهم.

دلالة التعبير بـ ﴿عَسَىٰٓ﴾ في جملة التعليل:

مظاهرُ النَّجابةِ التي تبدو على شخص ما تُؤْذِنُ بكونه نفّاعًا

في جملة التعليل عبّر النظم الكريم بـ ﴿عَسَىٰٓ﴾، الموضوع للطَّمع وشدَّة الرَّجاء؛ لأنّ امرأة فرعون رأت فيه "مخايلَ اليُمن ودلائل النفع لأهله، لِما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبُرء البرصاء، ولعلّها توسّمت في سيماه النجابة المُؤْذِنَة بكونه نفّاعًا"[1].

دلالات التعبير بفعل النفع مضارعًا:

الطمع في ألّا يترتب على التبنّي إلا كلُّ نفعٍ

وعبّرت في خبر ﴿عَسَىٰٓ﴾ بفعل النفع: ﴿أَن يَنفَعَنَآ﴾ الموضوع للوصول إلى الخيرات؛ لثقتها البالغة في أن تبنّيه لن يُثمر إلّا كلَّ خير، ولن يكون من ورائه ضرٌّ يحصلُ لهما أو لغيرهما مطلقًا، وجاءت به مضارعًا؛ لثقتها كذلك في أنّ نفعه سيكون متجدّدًا طيلة حياتهما، ولن ينقطع عنهما في أيّة مرحلة من مراحل عمرهما.

نكتة تقييد فعل النفع بضميرهما:

مخاطبة المشاعر ترقِّقُ القلب وتستميل المخاطب

في وصلها فعلَ النفع بالضمير العائد إليها وإلى زوجها إشارةٌ إلى أنّ نفع الرضيع سيكون واصلًا إليهما معا بطريقة مباشرة، وأنه سيخصّهما به دون غيرهما، في إلماحة إلى أنّه لن يكون مواليًا لبني إسرائيل، ولا لأحد غير فرعون وآله، وفيه من دغدغة المشاعر وترقيق القلب ما يحقّق الاستجابة، ما يفوت إذا قالت: (عسى أن ينفع) دون تقييد.

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 395، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 4/ 172.

دلالة ﴿أَوْ﴾ في جملة: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾:

نـفـع الـنـاس مؤكد ما داموا على قيد الحياة

﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ حرف عطف يفيد التنوّع والمغايرة، جيء به لعطف ما بعده على جملة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، عطفَ الخاصِّ على العام[1]، اعتناءً به وتأكيدًا لمعنى نفعه لهما، بإيراده مرّتين في صورتين مختلفتين، إذ التعبير به يدلُّ على أنّ فوائد استبقاء الرضيع حيًّا كثيرة ومتنوعة، فبجانب ما سبق ذِكْرُه من كونه نافعًا لهما بصفة عامَّة، يمكن أن يتّخذاه ابنًا إذا لم يكن له أبوان، فيتأكَّد نفعه لهما، ويكثر خيره، لأنّهما سينزلانه منزلة الابن، وسينزلهما منزلة الأبوين.

دلالة التعبير بفعل الاتخاذ:

اشتداد الرغبة في طلب شخص ما يدلُّ على جدارته واستحقاقه

عبّرت امرأة فرعون عن رغبتها في تبنّي الرضيع بفعل الاتّخاذ في جملة: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾؛ لِما في أصل مادتّه الدّالة على القوّة من برهانٍ على جدّيَّتِها في هذا الأمر، وإصرارها على حصوله، ولِما في صيغة الافتعال التي جاء عليها ﴿نَتَّخِذَهُۥ﴾ من المبالغة الدّالة على عظيم رغبتها في تبنّي الرضيع والقيام على رعايته وتربيته؛ لأنها توسّمت فيه مخايل الأبَّهة والنجابة، وتوفُّر أسباب اللياقة والاستحقاق لأن يُرَبَّى في بيوت الملوك.

فائدة إسناد فعل الاتخاذ إلى ضمير الجماعة:

الخير لا يأتي إلا بالخير

أُسند فعل الاتخاذ إلى ضمير الجماعة العائد إليها وإلى زوجها: ﴿نَتَّخِذَهُۥ﴾؛ بقصد إثارة فرعون ودعوته للنظر في فكرة التبنّي، لأنّها فكرة جديرة بالتّأمل والتّدبّر، لكثرة فوائدها، ولأنّها سبب في دفع شرّه، والاستفادة من خيره؛ ذلك "أنّ هذا الطفل إذا انضمَّ إلى أهلهم، وكان ربيبَهم، فإنه يرجى منه نفعهم وأن يكون لهم كالولد، قياسًا على الأحوال المُجرّبة في علاقة التربية والمعاشرة والتبنّي والإحسان، بأنّ الخير لا يأتي بالشر"[2].

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 64، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 258.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 21.

نكتة التعبير بالمفعول الثاني: ﴿وَلَدًا﴾ نكرة:

في التنكير تعظيم وتفخيم وتكثير

جيء بالمفعول الثاني لفعل الاتَّخاذ: ﴿وَلَدًا﴾ نكرة؛ للتّعظيم والتّفخيم ولمزيد من التّرغيب في التّبنّي، لدلالته على أنّه سيكون لائقًا بهما، ومساندًا لهما، وأنَّ جوانب لياقته ومساندته أكثر من أن تحصى أو تحصر في بعض الأمور.

لطيفة التعبير بـ: ﴿وَلَدًا﴾ دون (ابنا):

عبّرت امرأةُ فرعون بـ: ﴿وَلَدًا﴾ دون (ابنا)؛ للدّلالة على أنّهما سينزلانه منزلة الولد المولود من صُلْبهما، وليس منزلة الابن الذي تبَنَّياه، وأنّه أيضًا سيساندهما ويعاملهما معاملة الوالدين اللذيْن انحدر من صلبهما، وليس معاملة الأبوين اللذيْن تبنياه.

معنى (الواو) في جملة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

يكيد الله تعالى بالظالمين من حيث لا يشعرون

جملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من كلام الله ﷻ على الأرجح، والواو في أولها هي واو الحال، والجملة بعدها حالية، وصاحبها ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾، والتَّقديرُ: (فالتقطَه آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عَدوًّا وحَزنًا، وقالتِ امرأتُه له كيتَ وكيتَ، وهُم لا يشعرون بأنَّهم على خطأ عظيمٍ فيما صنعوا من الالتقاط ورجاءِ النَّفعِ منه والتَّبني له)[1].

دلالة نفي المسند بـ: ﴿لَا﴾:

من عجيب قدر الله أن تكون المشاعر مخالفة للحقائق

جيء بالمسند مضارعًا منفيًّا بالحرف المختوم بألف المدِّ في جملة: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: للإشارة إلى انعدام علمهم وإدراكهم لحقيقة الرضيع الذي التقطوه، ولتأكيد نفي أيّ احتمال راودهم، أو هاجس دار بذهنهم؛ مفاده أنّ هذا الرضيع يمكن أن يكون وبالًا عليهم، أو يسبّب شرًّا لهم، وهذا من عجيب قدر الله، أن ينتفي ذلك الشعور تمامًا، وأن يشعروا تجاهه بعكس ما كانوا يحذرون، وبضِدِّ ما كانوا يقتلون الأبرياء لأجله.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 221.

نكتة التّعبير بفعل الشّعور دون غيره:

معرفة حقيقة الآخرين من العلم الخفيّ الذي لا يَتوصل إليه أحدٌ

آثر النظم التعبير بالفعل: ﴿يَشْعُرُونَ﴾ الذي يعني: العلم والفطنة[1]، دون (يعلمون) أو غيره ممّا يمكن أن يقوم مقامه؛ لأنّ معرفة حقيقة الرضيع من العلم الخفي[2] الذي لا يُتوصّل إليه، ولا يوجد من الأسباب ما يُعين عليه، ولا يكون إلّا بتوفيق من الله سبحانه، وفرعون وقومه لا يستأهلون توفيق الله ولا يستحقّون عونه، ومن ثَمَّ كان التعبير بالشعور أدقَّ ما يُستعمل في هذا المقام.

دلالة التعبير بالفعل المضارع في: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾:

عندما تُسلب العقول يقعُ المحذور

عبّر النظم الكريم بالمضارع: ﴿يَشْعُرُونَ﴾؛ لما يمتاز به من استحضار الحال الماضية كأنّها ماثلة حاضرة، تراها العيون وتشاهدها الأبصار، على الرغم من حصولها من زمن سحيق، وفي هذا المشهد يبدو فرعون وقومه فرحين بالرضيع، مستبشرين بتبنّيهم له، مؤمّلين من وراء رعايتهم له النفع العظيم والمساندة القويّة، ذاهلين عن كل ما كانوا يحذرون من أطفال بني إسرائيل، طارحين له وراء ظهورهم، ما من شأنه أن يزيد الإيمان في نفوس المؤمنين، ويقذف الرعب في قلوب الكافرين، ويدفعهم إلى الإقلاع عن كفرهم واستكبارهم لو كانوا يتفكرون.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المرأة والزوج:

يُعبَّر بالمرأة عندما تفقد الحياة الزوجية كثيرًا من مقوّماتها، وبالزوج في عكس ذلك

المرأة والزوج كلاهما يطلق على الأنثى، لكنّ الأوّل أعمّ؛ لشموله المتزوّجات وغير المتزوّجات، والثاني أخصّ؛ لأنّه لا يطلق إلّا على المرأة المقترنة برجل، والملحوظ أنّ القرآن يعبّر عن المتزوّجة بـ (امْرأة) عندما تفقد الحياة الزوجية كثيرًا من مقوّماتها، كما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ [التحريم: 10]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شعر).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 21.

ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [التحريم: 11]، حيث عبّر النظم الكريم عن ثلاث من النساء المضروب بهنّ المثلُ في سورة التحريم بلفظ: (امْرَأَت) دون (زوج) - مع أنّ الأولَيَيْن كانتا متزوّجتين من اثنين من أنبياء الله، هما نوح ولوط ﷺ، أمّا الثّالثة فكانت متزوّجة من فرعون، إذ يقف الكفر حائلًا دون كون الحياة بين رسولي الله وامرأتيهما، وبين امرأة فرعون وزوجها على النّحو المثالي[1]. أما إذا كانت الحياة الزوجية على ما يرام، وليس ثَمَّ نقصٌ يعتريها أو شيءٌ يُنغِّصها، عبّر القرآن عن المرأة بلفظ: (زوج)، للإلماح إلى التّقارب، والمحبّة والمودّة التي تربط بينهما، كما في قوله: ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَاجِكَۚ﴾ [التحريم: 1].

ولعل السّرّ البياني في "ضنّ القرآن بكلمة: (زوج) في المقامات التي تكون الحياة الزوجية فيها قليلةَ الإثمار أنّ الكلمة نفسَها تدل على "الزوجيّة"، فالمرأة ما سمّيت زوجًا إلّا مضافًا إليها الرجل، وما سمّي الرجل زوجًا إلّا مضافةً إليه هي، ودبيب الخلاف بينهما هنا ينافي هذا الاعتبار"[2] الدال على التقارب والتفاهم والمحبّة.

النفع والإفادة:

النفع يكون في الخير، والإفادة تكون فيما ينفع وفيما يضرّ

من النّاحية اللفظيّة: الأوّل، مشتقّ من الثّلاثي الصّحيح (نفع)، والثاني، مشتقّ من الثّلاثي معتلّ الوسط (فيد). ومن النّاحية المعنويّة: النَّفْعُ: ما يُسْتَعانُ به في الوُصولِ إلى الخَيْراتِ، وما يُتَوَصَّلُ به إلى الخَيْرِ فهو خَيْرٌ، فالنَّفْعُ خَيْرٌ، وضِدُّهُ الضُّرُّ. قال تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [الفرقان: 3]، والإفادةُ: ما أَفادَ الإنسان غيره على وجه العموم، ما يعني يمكن أن تكون فيما ينفع وفيما يضرُّ، على أنّ هذه المفردة لم ترد في كتاب الله تعالى.

(1) المليجي، صبحي إبراهيم، من أسرار التعبير القرآني في علاجه مشاكل الأسرة.. سورة التحريم نموذجا، ص: 44.

(2) المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 1/ 396.

الاتخاذ والأخذ:

الاتّخاذ والأخذ ينحدران من جذر لغويّ واحد هو: (أخذ) الدّال على حَوْزِ الشيء وجَبْيِه وجَمْعِه[1]، بَيْدَ أن الأوّل مشتقّ منه مع زيادة حرفين، فصار على وزن: (افْتَعَل)، والثّاني من الجذر ذاته بدون زيادة، على وزن: (فَعَلَ). ومن النّاحية المعنوية: أَن الأَخْذ مصدر أخذت بيَدي، ويستعار فَيُقال: أَخذه بِلِسانِهِ إذا تكلّم فيهِ بمكروه، وجاء بِمَعْنى العَذاب في قَوْله تَعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: 102]، وأَصله في العَرَبيَّة الجمع... والاتّخاذ أخذ الشَّيْء لأمر يسْتَمرّ فيهِ مثل الدّار يتخذها مسكنًا، والدّابَّة يتّخذها قعدة، ويكون الاتّخاذ التَّسْميَة والحكم، ومِنْه قَوْله تَعالَى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الفرقان: 3][2].

الاتّخاذ أخذ الشيء بغرض الاستمرار، والأخذ يطلق على التّناول باليد

الشعور والإحساس:

من الناحية اللفظية: الأول مشتقٌّ من الثّلاثيّ الصحيح (شعر)، والثّاني مشتقٌّ من الثلاثي الصحيح أيضًا (حسّ). ومن الناحية المعنوية: فالشُّعور يطلق على العلم والفطنة، يقال: شَعُرْتُ بِالشَّيْءِ، إذا عَلِمْتَهُ وفَطِنْتَ لَهُ، وسُمّي الشّاعِرُ لِأَنَّهُ يَفْطِنُ لِما لا يَفْطِنُ لَهُ غَيْرُهُ[3]، كما يطلق الشعور أيضًا على: الإدراك بالحواس[4]. أما الإحساس فإنه يطلق على العلم بالشيء، لكنه لا يكون إلا عن طريق حواسِّ الإنسان الخمس، يقال: أَحَسَّ الرَّجُلُ الشَّيْءَ إحْساسًا: عَلِمَ بِهِنّ، وهو يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وبالباء... ثم اسْتُعْمِلَ في الوِجْدانِ والعِلْمِ بِأَيِّ حاسَّةٍ كانَتْ، وحَواسُّ الإنْسانِ مَشاعِرُهُ الخَمْسُ السَّمْعُ والبَصَرُ والشَّمُّ والذَّوْقُ واللَّمْسُ الواحِدَةُ حاسَّةٌ"[5].

الشعور يعني الإدراك بالعلم والفطنة، والإحساس يعني الإدراك بإحدى الحواس

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 138.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شعر).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (شعر).
(5) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (حسس).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»